

الخداع

فى لقاء بين الرئيس المصرى محمد أنور السادات والرئيس السورى حافظ الأسد فى مدينة دمشق فى يوم ١٢ يونيو عام ١٩٧٣ (٧) تم وضع أسس الاتفاق على التنسيق بين الجيشين وكانت غرفة العمليات المشتركة قد بدأت فى شهر فبراير من نفس العام (١٩٧٣) فى القيام بوضع الخطوط الأولى للخطة (٧).

فى الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٢١ أغسطس عام ١٩٧٣ دخلت ميناء الاسكندرية باخرة ركاب على متنها ستة رجال كان يتوقف على قرارهم مصير الحرب والسلام فى منطقة الشرق الأوسط هم اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع السورى واللواء يوسف شكور رئيس أركان حرب القوات المسلحة السورية واللواء ناجى جميل قائد القوات الجوية السورية واللواء حكمت الشهابى مدير المخابرات الحربية واللواء عبد الرزاق الدرديرى رئيس هيئة العمليات والعميد فضل حسين قائد القوات البحرية السورية وكان فى استقبال هؤلاء الرجال الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المصرية الذى صحبهم فى ثيابهم المدنية إلى نادى الضباط بالاسكندرية للراحة قليلا قبل عقد اجتماع فى الساعة السادسة من مساء اليوم فى مبنى قيادة القوات البحرية المصرية فى رأس التين بمدينة الاسكندرية (٤).

كان الوفد المصرى فى الاجتماع يتكون من الفريق أول أحمد اسماعيل على وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية والفريق

سعد الدين الشاذلي رئيس هيئة الأركان واللواء محمد على فهمي قائد الدفاع الجوي واللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية واللواء فؤاد ذكرى قائد القوات البحرية واللواء عبدالغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية وهم الذين يشكلون مع نظرائهم السوريين المجلس الأعلى للقوات المصرية السورية المشتركة، وقام بأعمال السكرتارية لهذا المجلس اللواء بهى الدين نوفل (٤).

كان هدف الاجتماع هو تحديد ميعاد الحرب وكان القرار الذى خرج به المجلس هو أن القوات المصرية والسورية مستعدة وجاهزة للحرب وفيما يتعلق بتاريخ الحرب فقد اقترح المجلس توقيتين أحدهما خلال الفترة من ٧ إلى ١١ سبتمبر والثانى فى الفترة من ٥ إلى ١١ أكتوبر مع إرفاق طلب إلى القيادة السياسية ليكون القرار الخاص بتوقيت الحرب قبل بدء القتال بخمسة عشر يوما (٤).

تم فى اجتماع الاسكندرية تنسيق الخطط المصرية السورية الخاصة بالسرية والأمن والخداع التعبوى والاستراتيجى والسياسى ومن بين هذه الإجراءات بدأ أعضاء الوفد السورى بالعودة إلى بلادهم بأسلوب مختلف فمنهم من عاد بطريق الجو عن طريق السعودية ومنهم من عاد عن طريق البحر ومنهم من بقى عدة أيام أخرى (٤).

فى إطار خطة الخداع والسرية توجهت الاهتمامات المحلية المصرية والسورية نحو موضوعات بعيدة عن جو الحرب والإعداد لها فقد أبرزت وسائل الإعلام المختلفة قضايا فرعية عن المتغيرات الدولية وأثرها فى

الفكر والعمل العربى» التى عقدت جلسات فى مجلس الشعب المصرى لمناقشتها وأديرت ندوات فى النقابات المهنية والمؤتمرات السياسية لمناقشة هذا الموضوع.

وأفردت الصحف صفحاتها لشكاوي المواطنين من المواصلات والتموين وأبرزت انهيار الخدمة الصحية وفوضى المستشفيات واستحوذت قضايا التعليم والقبول بالمدارس على جانب كبير من اهتمامات وسائل الإعلام ومن بين حشاي المشكلات طفت على السطح مشكلة نتجت عن قرار لوزارة الإسكان يلزم أصحاب المباني بإنشاء المخابى كشرط لصدور قرار الموافقة على الترخيص بالبناء والحصول على مواد التموين اللازمة للبناء، فى نفس هذه الفترة لقى قرار وزارة الداخلية بتخفيض الإضاءة بنسبة خمسة وعشرين فى المائة سخرية بالغة من جموع الشعب المصرى (٩).

كانت واحدة من أهم القضايا التى شغلت وسائل الاعلام المتعددة وامتد أثرها إلى القنوات الدبلوماسية لتتشغل أيضا بنفس القضية، هى قضية الوحدة الاندماجية التى كانت تناقش على كافة المستويات فى مصر وليبيا لتحقيق الوحدة الاندماجية بينهما.

فى داخل هذا الاطار المخطط من أنباء واهتمامات اندست أخبار كان بعضها حقيقيا وكان البعض الآخر يستهدف تضليل العدو فقد تقرر أن تخصص نسبة ثلاثين فى المائة من المسافرين لأداء فريضة الحج فى هذا العام لأفراد القوات المسلحة المصرية على أن تجرى القرعة للمتقدمين فى يوم ١١ أكتوبر، كما وافق وزير الحربية المصرى على فتح الباب أمام

ضباط وجنود القوات المسلحة الراغبين فى تأدية العمرة فى الأراضى المقدسة خلال شهر رمضان المبارك، وجرى الاعلان عن الزيارة المرتقبة التى سيقوم بها وزير الدفاع الرومانى الجنرال أيون أيونيفى على رأس وفد عسكرى إلى مصر بدعوة من وزير الحربية المصرى فى يوم الإثنين الثانى من أكتوبر لإجراء محادثات تستهدف زيادة التعاون العسكرى بين البلدين(٩).

فى نفس هذا التوقيت كان مخططاً أن يكون عدد من الوزراء فى زيارات مختلفة لدول مختلفة فى توقيت يتواكب مع بداية شهر أكتوبر .

اعتباراً من يوم السادس من سبتمبر ١٩٧٣ كانت اللمسات الأخيرة قد بدأ الإعداد لها وفى هذا اليوم صدرت توجيهات القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية بأن تكون القوات المسلحة فى كل من مصر وسوريا فى تمام الاستعداد لشن العملية الهجومية (بدر) فى خلال خمسة أيام اعتباراً من أول ضوء يوم أول أكتوبر عام ١٩٧٣ ، وتولى اللواء بهى الدين نوفل رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة الاتحادية تسليم التوجيهات باليد إلى الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس هيئة أركان القوات المسلحة المصرية فى يوم ٧ سبتمبر، ثم سافر اللواء نوفل إلى سوريا لتسليم التوجيهات الى اللواء يوسف شكور رئيس الأركان السورى فى دمشق يوم ٨ سبتمبر .

بعد ذلك التاريخ بخمسة أيام وفى الثالث عشر من شهر سبتمبر (أيلول) نشبت معركة جوية بين الطائرات السورية من طراز ميج وبين الطائرات الإسرائيلية من طرازى فانتوم وميراج غرب طرطوس فوق البحر

الأبيض المتوسط حيث ظهرت المعركة وكأنها اشتباك جوى بين الطائرات السورية وبين الطائرات الإسرائيلية التى اخترقت المجال الجوى السورى، وخلال برهة وجيزة من الزمن أسفر الأمر عن اقتياد الطائرات السورية إلى كمين محكم نصبته الطائرات الإسرائيلية فكانت المعركة وكانت نتيجتها سقوط ثلاث عشرة طائرة سورية مقابل طائرة إسرائيلية واحدة (٥).

أسهم هذا الحادث فى خداع المخابرات الاسرائيلية التى نسبت التعزيزات السورية والحشود التى تقوم بها سوريا على امتداد خط وقف إطلاق النار إلى التوتر الذى ساد الجبهة الشمالية وكان التقييم الذى خرجت به المخابرات الإسرائيلية عن هذه الحشود بأنها نوع من خشية سوريا من ضربة إسرائيلية مضادة عندما تقوم سوريا بالانتقام لسقوط طائراتها بضربة محدودة.

برغم أن عددا قليلا جدا من التصريحات العدائية قد انطلقت من سوريا ضد إسرائيل فى هذا الوقت فقد تم تفسيرها على أساس أنها تعد جزءا من التوتر العام الذى يسود المنطقة فى أعقاب حادث إسقاط الطائرات السورية فى البحر بواسطة سلاح الجو الاسرائيلى.

باقترب يوم السادس من أكتوبر تصاعدت اجراءات الخداع ففى يوم السابع والعشرين من شهر سبتمبر دعا وزير الحرية المصرى رفاقه من الوزراء المصريين لزيارة القيادة العامة للقوات المسلحة لشرح لهم تنظيم القيادة وأسلوب عملها، وفى صباح اليوم التالى رافقه الفريق سعد الدين الشاذلى وعدد من ضباط القوات المسلحة لزيارة قبر الرئيس الراحل جمال

عبدالناصر ثم حضروا حفل تأبين للرئيس عبدالناصر فى القيادة العامة حضره عدة مئات من الضباط من مختلف فروع القوات المسلحة المصرية ، وفى المساء حضر الوزير ورئيس الاركمان الحفل الذى أقامه الاتحاد الاشتراكى بمناسبة ذكرى رحيل عبدالناصر(٤) وكان خطاب الرئيس السادات الذى ألقى فى هذه المناسبة خاليا من أى تهديدات لإسرائيل .

كانت المخابرات الأمريكية تضع عيونها على كل الذى يجرى فى الشرق الأوسط وتتبادل مع الموساد الإسرائيلى المعلومات التى تمس الحرب والسلام فى المنطقة . وفى يوم ٢٧ سبتمبر أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية من قاعدة فاندربرج بولاية كاليفورنيا قمرا صناعيا من طراز ساموس فى مدار يقع غرب آسيا لنقل المعلومات عما يجرى فى الجانب العربى وتولت تزويد المخابرات الاسرائيلية بجميع الصور التى التقطها القمر بكل ماتحويه من دقائق وتفاصيل .

شهد يوم الثامن والعشرين من سبتمبر عملا من الأعمال التى كان لها أثرها الواضح فى بلبلة تفكير القيادة الإسرائيلية وأجهزة مخابراتها فقد زاد من يقين أجهزة المخابرات بأن الحشود السورية هى تحسب لضربة انتقامية من إسرائيل فقد «كان عمل آخر من أعمال الخداع ربما كان أنجحها جميعا ، ولم يوافق عليه الرئيس السادات إلا على مضض» يتضمن استخدام قوات الصاعقة السورية الفدائية ، وتم تنفيذ الخطة يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ حيث قام مسلحان من الصاعقة السورية باختطاف قطار من النمسا واحتجزا عددا من الرهائن وطالبا بإغلاق معسكر قلعة شناو بالقرب من فيينا الذى كان

يستخدم كمعسكر ترانزيت لليهود الذين يغادرون الاتحاد السوفيتي» (١) مما دعا رئيسة وزراء إسرائيل للسفر إلى النمسا لمقابلة المستشار كرايسكي في الثاني من أكتوبر.

استمرارا في خطة الخداع كان مقررا في السابع من أكتوبر أن تطير طائرة كوميت تابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني من قبرص لاختبار ممرات الهبوط في أبو سمبل والأقصر استعدادا للزيارة الوشيكة التي ستقوم بها الأميرة مرجريت لمصر (١)، وكانت مجموعات من المخابرات المصرية تزور باريس للبحث عن قصر يمكن تأمينه لزيارة شخصية سياسية مصرية هامة عرف أنها الرئيس السادات بنفسه الذي سيحضر في رحلة استجمام وعلاج في اوائل أكتوبر.

كانت سوريا تعد محافظة دير الزور للزيارة التاريخية المرتقبة للرئيس السوري حافظ الأسد للمحافظة في النصف الأول من شهر أكتوبر بينما كانت القوات الجوية المصرية قد سربت خبرا عن زيارة يقوم بها اللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية إلى ليبيا يوم الخامس من أكتوبر وكانت قوات الدفاع الجوي قد سربت تقريرا عن عدم صلاحية الكثير من معدات الصواريخ بعد سحب الخبراء الروس.

في أول أكتوبر اجتمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية برئاسة الرئيس محمد انور السادات وفي يوم ٣ أكتوبر سافر الوزير أحمد اسماعيل إلى سوريا للاتفاق على الموعد النهائي لبداية العمليات على الجبهتين، وفي نفس اليوم الأول من أكتوبر جري إخطار قائد الجيشين

الثانى والثالث الميدانيين فى مصر أن تمام الاستعداد لتنفيذ الخطة (بدر) سوف يكون يوم السادس من أكتوبر الموافق العاشر من رمضان، وفرض عليهما أمر بأن يجرى تبليغ قادة الفرق يوم ٣ أكتوبر وقادة الألوية يوم ٤ أكتوبر وقادة الكتائب والسرايا يوم ٥ أكتوبر وقادة الفصائل وضباط الصف والجنود قبل بداية الهجوم بست ساعات فقط (٤)، إلا أن بعض الوحدات تم فيها إبلاغ قادة الألوية فى الساعة الثامنة من صباح يوم السادس من أكتوبر، ومع بعض الاستثناءات فإن الرجال الذين كانوا فى سرايا المشاة فى المقدمة لم يعرفوا بأنهم سيقومون بالهجوم حتى الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا، أما طيارو سلاح الطيران فتم إبلاغهم عند الظهر (١).

فى الثالث من أكتوبر تم تسريح نحو ألفين من جنود الاحتياط (١) فى الجيش المصرى، وكانت هناك ضرورة استمرار الحياة العادية داخل المواقع المصرية وقد خصصت مجموعات من الرجال كل واجبها التمويه فى كل وحدة من وحدات الجيش المصرى 'على الجبهة، واتجهت مجموعات من الرجال للسباحة بلباس البحر فى القناة وكان مقررا استمرار أعمال الشركات المدنية بمهندسيها وعمالها حتى الساعة الواحدة والنصف من ظهر يوم السادس من أكتوبر فى منطقة أعمالهم بجهة قناة السويس (٨).

كان الاتحاد السوفيتى الذى أخطر بموعد الحرب قد أطلق قمرًا صناعيًا من طراز كوزموس ٦٠٣ ووجهته التحليق فوق منطقة الشرق الأوسط، وفى اليوم التالى خرجت جميع وحدات الأسطول السوفيتى التى كانت راسية فى مينائى الاسكندرية وبورسعيد إلى عرض البحر المتوسط، وفى

صباح الجمعة الخامس من أكتوبر هبطت في مطارى القاهرة ودمشق طائرات نقل سوفيتية من طراز انتينوف ٢٢ لنقل عائلات الخبراء والمستشارين ورعايا الاتحاد السوفيتى من مصر وسوريا بعد أن حزموا أمبتعتهم (٤).

كانت الحلقة الأخيرة من سلسلة الاجراءات الخداعية - التى تم الإعلان عنها أو معرفتها - هى الإعلان المسبق عن قيام مصر بإجراء المشروع الاستراتيجى السنوي فى المدة بين أول أكتوبر وحتى السابع من هذا الشهر (٤)، وتحت هذا الستار كان يتم استدعاء الاحتياطى والانتقال من مراكز القيادة العادية إلى مراكز القيادة الميدانية وكان الاستدعاء رقم ٢٣ هو الاستدعاء للحرب (٤).